أسس المنهج التبشيرى ودعائمه عند ريمون لول
دراسة نقدية

إعداد
د . نادية عبد الغنى البرماوى
أستاذ فلسفة العصور الوسطى المساعد
كلية الآداب جامعة المنوفية

مقدمه:

يعد المنهج اللاهوتى التبشيرى من أهم المناهج التى سيطرت على مفكرى وفلاسفة القرن الثالث عشر بصفة عامه وريمون لول بصفة خاصة؛ ذلك المنهج الذى زعم ريمون لول أنه يمكن من خلاله أن يصل كل إنسان متوسط الموهبة وبسيط التفكير إلى التعرف على الحقيقة الكاثوليكيه، وبالفعل استطاع ريمون لول أن ينتهج منهجًا مزج فيه بين مختلف المفاهيم الذهنية لأجل التبشير بالمسيحية وجعلها الديانة الرسمية.

والحقيقة أن هذا لم يكن أمرا جديدا على ريمون لول؛ إذ كانت هناك فكرتان رئيسيتان سيطرتا على حياته كلها ألا وهما الصراع ضد الرشدية وهدى المسلمين إلى الدين المسيحى.

ويرجع سبب اختيارى لدراسة هذه الشخصية إلى أنها تعد شخصيه جديدة فى مجال البحث الفلسفى؛ إذ لم يتناولها بالدراسة عدد كبير من الباحثين، أما اختيارى لموضوع التبشير عنده فيرجع إلى أنه يعد من أهم الموضوعات التي تناولها ريمون لول بالبحث والدراسة يضاف إلى ذلك تميز المنهج الذى انتهجه فى دراسته والذى اختلف به عن كثير من معاصريه وخاصة فى تركيزه على نشر اللغة وتعلمها لأجل التواصل مع الآخرين وكذا فى استخدامه للأشكال الهندسية واللوحات المعدنية فى طرح قضاياه وعرض فكرته .

ولقد اعتمدت فى هذه الدراسة على المنهج التحليلى مع استخدام المنهج النقدى عند الحاجة إليه؛ وذلك نظرا لما تتطلبه طبيعة هذا الموضوع من بيان لطبيعة هذا المنهج عند ريمون لول ومن عرض وطرح للأفكار التى استخدمها فى خدمة هذا الغرض التبشيرى.

أما التساؤلات الموجهة لهذه الدراسة فيمكن صياغتها على النحو التالى:

1- ما بواعث المنهج التبشيرى؟ وما دوافعه عند ريمون لول؟.

2- ما مقومات المنهج التبشيرى عند ريمون لول؟ وما هى دعائمه ؟.

3- كيف سارت رحلة ريمون لول التبشيرية؟ وإلى أى مدى حققت أغراضها؟.

وتتألف هذه الدراسة من مقدمه ومدخل وثلاثة عناصر وخاتمه وقائمه بالمراجع.

أما المقدمة فقد تناولت فيها التعريف بالدراسة وأهميتها والمنهج المستخدم فيه والتساؤلات الموجهة للدراسة.

أما المدخل وعنوانه: "حياة ريمون لول ومؤلفاته"؛ فقد عرضت فيه لحياة هذا الفيلسوف وأهم مؤلفاته.

أما العنصر الأول وعنوانه: "بواعث المنهج التبشيرى عند ريمون لول"؛ فقد عرضت فيه لمجموعه البواعث والدوافع التى دفعت بريمون لول لانتهاج هذا المنهج والإقبال عليه .

أما العنصر الثانى وعنوانه:"مقومات المنهج التبشيرى عند ريمون لول"؛ فقد عرضت فيه لأهم مقومات ودعائم هذا المنهج عنده والتى تمثلت فى عاملى التعليم واللغة وقد حاولت أن بين كيف استطاع ريمون لول أن كلا هذين العاملين لأجل خدمة أغراضه التبشيرية.

أما العنصر الثالث وعنوانه" "رحلة ريمون لول التبشيرية"؛ فقد تتبعت فيه خطوات ريمون لول وارتحاله من مكان لآخر لأجل نشر دعوته وإرساء دعائم حملته مبينه مدى نجاحه أو فشله فى تحقيق هذا الغرض التبشيرى.

أما الخاتمة فقد عرضت فيها لأهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وقد أعقبتها بقائمه من المرجع التى اعتمدت عليها فى إعداد هذه الدراسة والله تعالى هو الموفق للسداد.

"مدخل " : حياة ريمون لول ومؤلفاته:

أ- حياته: شخصية عجيبة تلاقت فيها خصائص العصر[1] اسمه الحقيقي باجيودى جياكومو الأول* [2] ولا نعرف شيئاً كثيراً عن حياته، إلا أنه ولد عام 1235م، فى مدينة مايورقه التابعة لتونس، وكان مسيحياً متعصباً [3] تزوج من بيانكا بيكانى، ورزق منها بولدين[4]، لم يحظ بتربية مدرسية فى شبابه، ولكنه

---

[1] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ ص 213 .

* الأرجح أن لفظة ريموند مشتقة من كلمة ألمانية تعنى نقاوة اللسان، وهى تكتب ريمون أحيانا و ريموند أحياناً أخرى (انظر: د صموئيل زويمر: حياة ريموند لل ، ترجمة خليل رزق، القاهرة، 1914 ص 28 .

[2] Bruno Nardi: Lullo, Dans Enciclopedia Cattolica, Vol.7, Firenze, Ente per L'Enciclopedia Cattolica E Per IL Libro Cattolico città Del Vaticano 1951, P. 1677.

[3] د/ عبد المنعم الحفني: موسوعة الفلسفة والفلاسفة جـ2، مادة " رامون لول " ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، 1997، ص 1177 .

[4] Saint franshesko: Raymond Lull, dans Dizionario Enciclopedico del Evo, Direzione di André Vauchez, Edizione Italiana di Claudio Leonardi, Vol.11, Città Nuova,1998, P. 1088 .

حصل ثقافة البلاط تحصيلاً كاملاً، وعاش حتى بداية الثلاثين من عمره كسائس لملك مايوركا وكمدير للشئون المالية لأسرته[1]، عاش حياة شديدة الانحلال حتى حانت توبته إثر تعرضه لأزمة نفسية استشعر فيها يد الله ومعونته تعالى _ إن صح التعبير _ هذه الأزمة التى أطلق عليها فى وقت لاحق التوبة الشخصية واللقاء مع الله غيرت حياته وعاد بفضلها إلى ذاته، وعاش ما بين عامى 1264م وحتى 1273م فترة عصيبة من التدريب الروحى عانى فيها من الشكوك والقلق، ودخل فى صراع متلاحق بين نفسه وبين ذويه ومن حوله[2]، وبعد هذه الفترة - وبعد دخوله فى حالة من التفرغ والصلاة والتأمل، توحد وانضم إلى رهبنه مارفرنسيس الثالثة، وراح يطوف من مزار إلى مزار مكرساً وقته لدراسة العديد من اللغات والقراءة لكتابات فلسفية ولاهوتية مختلفة[3] ثم اكتشف مهمته معتقداً بأن الله تعالى يدعوه إلى أن يؤدى رسالته، وهى هداية غير المسيحيين إلى الدين المسيحى؛ فهجر العالم وترك أسرته سعياً من جانبه لأداء رسالته[4] ونحو عام 1290م ، اقترح على الباباوات خطة لحملة صليبية وتبشيرية على ديار غير المسيحيين؛ فقصد بنفسه إلى أفريقيا الشمالية ليهدى فيها غير المعتنقين للمسيحية بالحسنى؛ فلقى من سوء المعاملة ما لقى، فعاد إلى مايوركا، وظل بها حتى توفى عام 1315م على الأرجح[5].

ب- مؤلفاته: تميز ريمون لول بالإنتاج الغزير والمؤلفات العديدة، التى بلغت نحو280 عملاً، بقى منها 240 عملاً تقريباً، خاضت فى مجالات عديدة مثل الكون والطبيعة، القانون، الطب، الفلك، الموسيقى، الرياضيات والمنطق، علم النفس[6].

ولعل هذا الإنتاج الضخم لريمون لول لهو خير شاهد وأكبر دليل على بيان طبيعة المشاغل التى كانت تحظى بالاهتمام فى القرن الثالث عشر الميلادى؛ فمؤلفاته- سواء باللغة الكاتالونية أو اللاتينية أو العربية- تسعى بكليتها

---

(1) Jordan Gallego: Raymond Lulle, dans Dictionnaire des Religions, Directeur de la publication, Paul Poupard Universitaire de France, 1993, P. 1163.

(2) Ibid, P. 1163.

(3) Bruno Nardi: op.cit. P. 1678

(4) Jordan Gallego: op.cit., P. 1163.

(5) إميل برهييه: تاريخ الفلسفة ، جـ3 ، ترجمة جورج طرابشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت 1988، ص 215 .

(6) Jocelyn Nigel Hillgar: "Ramon lull", an essay in the Encyclopedia of philosophy by, Vol 5 Editor chief by Paul Edwards, "Vils 102, Macmillan Publishing Co., Inc the free Press, New York, 1972. P. 108.

إلى خدمة غرض واحد، وهو بسط سلطان الكاثوليكية- إن صح التعبير- باعتبارها والعقل شيئاً واحداً على المعمورة قاطبةً[1].

ولعل أهم هذه الأعمال وأشهرها هو "الفن العظيم" أو "الفن الأعظم"، وأحياناً ما يطلق عليه أيضاً "الفن الكبير" أو "الفن الأكبر"، وقد تم نشره عدة مرات، ثم يليه سلسلة من الأعمال التطبيقية على المنطق والطب والقانون والوعظ، وكذلك أعمال جدلية ضد فلسفة ابن رشد*، هذا بالإضافة إلى أنه ما بين عامى 1297، 1298م استطاع أن يشرح بالتدوين حكم الإدانة الذى أصدره إستيفان تيميلير، وذلك على شكل كتيب صغير، كان بعنوان: "إعلان ريموند على طريقة الحوار"، كما أنه كان من أجود الكتاب باللغة الكاتالونية، فاستطاع أن ينشر عقيدته على شكل حوارات بين الأديان، ككتاب الوثنى والحكماء الثلاثة وذلك ما بين عامى 1270م و 1273م، وأيضاً على شكل روايات كرواية بلاكيرنا فى عام 1283م ورواية فيليكس ما بين عامى 1287 ، 1289م، هذا بالإضافة إلى ما تركه لنا من تقارير دقيقة وكتابات رائعة وجذابة عن خبرته الصوفية، وذلك فى مؤلفه "الصدق والحبيب"، وذلك فى عام 1276م، وأيضاً بعض القصائد الصحيحة النسب إليه[2].

يضاف إلى ذلك مجموعة أخرى من الأعمال النظرية المتكاملة ككتاب "العبادة"، الذى كتبه فى مايوركا باللغة العربية، وترجم إلى اللغة الكاتالونية، وأيضاًً كتاب "مبادىء الفلسفة"، "ومبادئ اللاهوت"، ولكنه بعد عام 1277م أخذت كتب الجدل والمناسبات تشكل الطابع العام لمؤلفاته؛ فأخذ يتناول نقد فلسفة ابن رشد ، وكذا مشاريعه الإصلاحية وإحباطاته الشخصية، وهذا ما ظهر واضحاً من نشيد " رامون "، الذى كتبه عام 1299م، كما كان من أهم مؤلفاته أيضاً " شجرة المعرفة "، والذى يعد خلاصة لكافة معارفه الموسوعية، وقد ألفه فى روما عام 1296م وسط حالة من البؤس والبكاء، هذا بالإضافة إلى عدة أعمال منحولة راجت باسمه فى نهاية العصر الوسيط وفى عصر النهضة غير أنها لم تكن صحيحة النسب إليه[3].

---

(1) إميل برهييه المرجع السابق ، ص 215 .

* هو أبي الوليد بن رشد قرطبي النشأة ، ولد عام 520هـ، أخذ عن أبيه الذي أخذ عن جده الفقه، وعلى الرغم من ذلك كانت الدراية أغلب عليه من الرواية، تولى منصب قاضي القضاة، ودرس علم الكلام وتعمق فيه، كما تعمق في دراسة مذاهب الفلاسفة ، تناول أرسطو وكانت له شروح كثيرة عليه. وتوفى عام 595هـ - 1198م أهم مؤلفاته"بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه".(انظر د. عاطف العراقي : النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، دار المعارف ، دار المعارف، ط4 ، القاهرة ، 1984، ص 43 ، 44 ، 47).

(2) Saint franshesko : op. cit , P. 1089.

(3) Bruno Nardi: op.cit., P. 1679.

والحقيقة وعلى الرغم من أهمية ريمون لول ودوره البارز في مجال الروحانيات، إلا أنه لم يحظ بدراسات وافيه في هذا المجال قياساً بمؤلفاته الفلسفية واهتماماته اللاهوتية.[1]

العنصر الأول: بواعث المنهج التبشيرى عند ريمون لول:

تكاد تكون النعمة * " Grace " أو ما يعرف باللطف الإلهى هى أهم بواعث المنهج اللاهوتى التبشيرى عند ريمون لول؛ إذ استطاعت النعمة أن تغير مجرى حياة هذا الفيلسوف، وتنقله من مرحلة المادية الفجة إلى مرحلة الروحانية الصرفة،؛ فلقد صرف ريمون لول - على الرغم من زواجه مبكراً- ريعان شبابه فى الملذات الدنيوية والشهوات الحسية، وكانت همته ونشاطه وكل مواهبه الطبيعية تتجه بشكل مباشر نحو تلك الملذات التى انغمس فيها بكليته وغاص فيها بكل قوته، وقد شهد على نفسه أنه انغمس فى أقصى درجات الخلاعة والفسق؛ إذ كان فى ذلك الوقت الخمر والنساء هما أقوى ملذات الحياة للعامة بوجه عام والملوك والأمراء بوجه خاص؛ فأخذ يسعى إلى الحصول على الشهرة بملازمة النساء ومرافقتهن فى الحفلات والاجتماعات، وقضى فى ذلك عدة سنوات، كما كان شغوفاً بالموسيقى، ماهراً فى الشعر، حتى أنه لقب "بالشاعر"، ولكن كان جل اهتمام شعره بالعشق والهيام[2] .

كانت أشعاره تعبر- فى مجملها- عن عدم ارتياحه لحياته الحسية، وعدم رضاءه عن عيشته الشهوانية، حتى أنه كان يقول " اللهم إنى أرى أن الشجر ينتج أزهاراً وثماراً، لفائدة بنى البشر، ولكننى أنا الشقى لست كذلك؛ فأنا خاطىء، ولم أثمر شيئاً منذ ثلاثين عاماً، بل على العكس، أفسدت الأرض، وأضررت بأصدقائى وجيرانى؛ فالشجرة التى لا عقل لها تنتج ثماراً أكثر منى؛ ولذلك فإننى أستحى من نفسى وأحسبها مستحقة لوماً عنيفاً".

---

[1] Dizionario Enciclopedico di spiritualità/2, Raynonde Lulle, a cura di Ermanno Ancilli e del Pontificio Istituto di Spiritualità del Teressianum, Città Nouova, 1995.

* النعمة هبة من الله، تعطي مجانا بالروح القدس لمن أمن، به فأرحبه وهي حسب النص لا تعتمد على الأعمال، ولكن العكس هو الصحيح فالأعمال تعتمد على النعمة (انظر الأب متى المسكين: مع المسيح، "الكتاب الأول" مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط 4، القاهرة ، 2006م ، ص 70)، هي تفيد أيضا معنى الحنان أو الإحسان، وقد وردت هذه الكلمة في العهد القديم مرات كثيرة بمعان متشابهة تدور حول معاني الرأفة والعطف مع الرحمة الوفيرة، وقد وردت كصفة أساسية لله تعالى فالله "إله نعمة"، وجاءت أيضا بمعنى "رحمة ورأفة"، وأيضا أنه رءوف رحيم، بطئ الغضب ، سريع الإحسان والوفاء وكل هذه الصفات تدور حول شرح المعنى الذي تحويه صفة النعمة. (انظر الأب متى المسكين : النعمة في العقيدة والحياة النسكية، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط2، القاهرة، 2002، ص 5).

[2] د . صموئيل زويمر: حياة ريموند لل ، ص 32 .

ومن هنا فقد نشبت معركة هائلة وحرب نفسية بين تطلعاته الروحية ودناءته الجسدية، وتخاصمت طبيعتاه الروحانية والمادية، غير أن الغلبة كانت- فى النهاية - لطبيعته الروحانية؛ فتوحد واهتدى وتاب وعزم أن يترك كل شىء ويبشر بالمسيحية؛ فرجع إلى خالقه، وانتقل من الشهوانية العارمة إلى الروحانية الحالمة، وقدم شكره لله؛ لأنه رأى الفرق الشاسع بين أعماله من قبل ومن بعد، وكان يتأسى على الماضى فيقول: "كانت أعمالى شريرة وكنت أفرح بمعاشرة الخطاة "، فصار - إن صح التعبير- قديساً بعد أن كان إبليساً [1].

وهنا يظهر دور النعمة واضحا فى حياة ريمون لول، والتى جاءته على شكل رؤيا، والحقيقة أن مسيحيوا القرن الثالث عشر اعتقدوا بإمكانية الرؤيا وأولوها اهتماماً شديداً، مع أن عصر الرؤى - فى نظر الأغلبية - عصر وهمى، إلا أننا لا نستطيع أن نقول ذلك عن القرن الثالث عشر؛ إذ كانت الرؤيا فيه مثمرة؛ فالرؤى التى رآها القديس فرانسيس الأسيزى* - على سبيل المثال- كان لها أعظم الأثر فى كتاباته، وفى تغيير مجرى حياته، ومن ثم فإننا إذا كنا نشك فى حقيقة الرؤيا، إلا أننا لا يمكن أن نشك فى أثرها على حياة أولئك الذين يعترفون أنهم رأوها وإن كانوا يختلفون بشأنها؛ فيرى البعض أنها خيالات دينية ويرى البعض الآخر أنها تصورات زهدية، ولكن لا يختلف أحد منهم على ما لها من قوة فعلية لها أثرها على حياة من رأوها، وهذا ما حدث لريمون لول الذى رأى المسيح نفسه وهو فى هذا يقول:- "جلست مساء أحد الأيام على ديوان بيتى، ووضعت عودى على ركبتى، وبدأت فى تأليف أنشودة فى مدح إمرأة شريفة متزوجة، كان قد فتن بها قلبى وخبل بها عقلى، على الرغم من أنها لم تكن تشعر بى، بل كانت تعاملنى بالصد، ثم بدأت فى كتابة أشعارى، ولكننى رأيت- وعلى يمينى- صورة المخلص Savior معلقاً على خشبة الصليب، والدم يسيل من يديه وقدميه وحاجبيه، رأيته محملقاً فىّ؛ فزادت دقات قلبى ووثبت على قدمىّ واقفاً، ولم أقدر أن أكمل قصيدتى؛ فطرحت عودى جانباً، وتحركت ببطىء إلى فراشى، وبعد ثمانية أيام أردت أن أتمم قصيدتى عن تلك

---

[1] نفس المرجع ، ص 33 ، 34 .

* نشأ فرانسيس في مدينة أسيزى الإيطالية ، إنسان مبارك الذكر، وقد حباه الله بركة خاصة، وانتشله – بحكمته – من أخطار هذا العالم، وأفاض عليه من نعمته الإلهية، ولد عام 1182م وعاش طفولته وحياته كأي شاب من شباب بلدته، وبعد أن نال قسطاً كبيراً من التعليم، وتوجه مع أبيه إلى العمل التجاري المربح، وعزه الله بالميل الشديد إلى التقوى = =وملأ قلبه بالصلاح؛ فكان يحسن الإصغاء للإنجيل؛ مما جعله يقرر في نفسه أن يؤدي كل ما يطلب منه خصوصا إذا كان ذلك حباً في الله (انظر القديس بونافنتورا: السيرة المطولة لحياة القديس فرانسيس الأسيزي (فارس الكمال الإنجيلي)، ترجمها وأعدها عن الإيطالية نخبة من الآباء والأساتذة الفرنسيسكان حراسة الأراضي المقدسة، ط1،القدس،1989،ص 5، 6).

المعشوقة، ولكن حدث ما سبق أن حدث، إذ ظهرت لى صورة المخلص، وهو على شكل رجل شديد الأوجاع، فنظرت إليه- بألم وحزن- ونشدت أقول:

انظروا كيف يداه سمرت فوق الخشب
وله أكليل شوك ناب عن تاج الذهب
آه ما أقسى أيـــاد صنعت هذا العجب
انظروا كيف دمــاه قطرت من جنبـه
واسمعوا صوت أنين صاعداً من قلبـه
يا ترى ذاك لمـاذا هل لكم علم بــه

فرميت عودى ثانية وألقيت بنفسى على الفراش فريسة لتوبيخ ضميرى؛ إذ رأيت أعلى وأعمق درجات المحبة للخطاة؛ فنشدت صارخاً.

وكيف أنسى حملاً قد مات عن ذنبى
واحتمل التعييــر والآلام بالصـلب
اذكر حبك الـذى أظهـرت يـا ودود
اذكره ما دمت فى الحياة والوجــود[1]

كان تأثير الرؤيا الأولى سريع الزوال فلم أكن مستعداً للتسليم والخضوع حتى أعادت نفسها؛ فلم أقدر حينئذ أن أعاند الرؤيا السماوية وأيقنت أنها رسالة خاصة لنفسى كى أتغلب على شهواتى، وأكرس نفسى كلياً لخدمة المسيح، وقد شعرت أنه نقشت على قلبى رؤية إنكار ذات المخلص لنفسه.

وأصبحت عندى رغبة واحدة هى عشق المسيح وخدمته، ولكن سرعان ما انتابنى الشك وحدثت نفسى قائلاً: كيف يمكننـي أنـا المدنس بالرذائل أن أحيا حياة نقية؟! وصرفت عدة ليال لازمنى فيها الأرق وهاجمنى اليأس والقنوط مراراً فبكيت بكاء مريم المجدلية متذكراً خطاياى الجسيمة وأخيراً لاح لى خاطر كالبرق، وهو أن المسيح وديع ومتواضع القلب يدعو إليه جميع الناس. وبهذا الخاطر نلت التعزية المنشودة؛ ولأنه غفر لى كثيراً فأحبنى أكثر وعزمت على أن أنسى العالم وأترك كل ما فيه لأجل خاطر المسيح؛ فذهبت يوماً ما إلى كنيسة مجاورة وسلمت نفسى إلى الله طالباً منه أن يساعدنى على إخراج هذه الأفكار إلى حيز العمل ما دام هو الموحى بها إلى، ومع أنه كانت قد انتهت رغباتى الأولى وتركت عيشتى السالفة إلا أننى قد عشت في صراع كبير بين عامل التقوى وعامل الشهوة لمدة أربعة أشهر.

---

[1] د . صموئيل زويمر: حياة ريموند لل ، ص 36 ، 37.

وبعد ذلك عزم ريمون لول على أن يكرس قواه لتوصيل بشارة الصليب إلى العرب، معلناً حرباً صليبية لهداية هؤلاء العرب، وكانت هذه هى الشرارة الأولى لبداية المنهج التبشيرى عنده.

ويواصل ريمون لول حديثه عن نفسه فيقول: "وفى الرابع من أكتوبر كان عيد فرانسيس الأسيزى؛ فذهبت إلى الكنيسة الفرنسيسكانية فى بالما؛ وهناك سمعت من الواعظ الفصيح قصة (عروس الفقر)، وقد أثارت كلماته ما خمد من النيران المتأججة فى قلبى فعزمت عزماً نهائياً وبعت ممتلكاتى التى كانت ذات قيمة ثمينة وتصدقت بالمال على الفقراء وأبقيت جزءاً يسيراً يكفى لمعاش زوجتى وأولادى وهنالك نذر ريمون لول تكريسه نفسه قائلاً: "إليك أيها الرب الإله أقدم نفسى وامرأتى وأولادى وكل ما أملك وأتقدم إليك بخشوع بهذه التقدمة، وليحسن فى عينيك بأن تتنازل وتقبل كل ما أقدم لعزتك الإلهية بأن أكون أنا وامرأتى وأولادى خدمك المطيعين".

وكان هذا النذر عهد استسلام وخضوع تام، ودع فيه رفاقه القدماء وحياته الدنيوية وداعاً لا لقاء بعده. ولبس ثوب التنسك وزار كثيراً من الكنائس الموجودة فى الجزيرة وطلب النعمة والمعونة فى العمل الذى أخذه على عاتقه.[1]

ولقد التزم ريمون لول بشروط الرهبنة المتشددة فى العصور الوسطى وسننها وجرى على مثالها فى تنسكه وإنكار ذاته، وتؤكد أغلب كتاباته أنه صار فرنسيسكانياً ولكن قولهم هذا مشكوك فيه؛ إذ أن بعض هؤلاء الكتاب كانوا من هذه الطائفة؛ فأرادوا طبعاً أن يكون لهم الفخر بنسبته إليها، غير أن بعض الكاثوليك فى مايوركا بأسبانيا اعتبروه قديساً فرنسيسكانياً، وقال أحدهم عن اهتداؤه:- "نبعت من ولادة ريمون لول الجديدة من شدة حبه للمسيح؛ إذ لم يكن إيمانه وهمياً بل فعلياً حقيقيا وكان كاثوليكياً أكثر منه رومانياً، كما أن الكاتالونيين عارضوا مملكتهم وثاروا ضد ظلمها كذلك اشتهر بطلهم بتجاسره الغريب؛ وذلك بالابتعاد فى أعماله عن ظلم الكنيسة وفى سعيه المتواصل فى إعطاء العامة حقوقهم المهضومة. ولعل سر حياة ريمون لول يكمن فى حكاية اهتدائه؛ إذ غلب حب المسيح المصلوب على الحب الشهوانى وخضعت كل أشعاره وغرامة للصليب ورؤيا شبابه تفسر لنا قوله في شيخوخته "الذى لا يحب لا يعيش والذى يعيش بالحياة الحقيقية لن يموت".

---

[1] نفس المرجع ص 40 ، 41 .

ولقد بقيت صورة المسيح المتألم خمسين عاماً منبعاً لحياته؛ لأن حبه للمسيح ملأ قلبه وصاغ عقله وأوحى إلى قلمه وجعل نفسه تشتاق إلى تاج الاستشهاد [1].

العنصر الثاني: دعائم المنهج التبشيري عند ريمون لول:

عزم ريمون لول عزماً أكيداً على أن ينتهج منهجاً تبشيرياً يبشر به العرب، داعياً إياهم إلى الدخول فى المسيحية، وجعلها الديانة السائدة لبنى العرب بوجه عام، ووقف بنفسه وبكل قوته على خدمة هذه المهمة وتأديتها على الوجه الأكمل؛ فوضع لنفسه مجموعة من الأسس والدعائم التى أقام عليها منهجه والتى يمكن عرضها على النحو التالى:

أولاً: التعليم: اعتقد ريمون لول أن التعليم هو أهم السبل وأقوى الوسائل لدعم منهجه التبشيرى، ولكنه واجه صعوبة أنه كيف يمكنه أن يحقق ذلك الهدف، وهو ليس قسيساً ولا قديساً، وسلطة الكنيسة والألكيروس كانت هى السائدة فى تلك الفترة؛ فتراءى له أن يؤلف كتاباً يظهر فيه حق المسيحية، ويكون ذلك شرارة البدء فى تحقيق هدفه[2]، غير أنه وعلى الرغم من وجود تشابه كبير بين فلسفته وفلسفة أرسطو إلا أنه كان يعتقد أن المنطق الأرسطي عاجز على الرغم من قدرته على البرهنة، ومن هنا كان سعيه الجاد لأجل اتمام (فن الاكتشاف)، أي اكتشاف الحقيقة الكاثولوكية من قبل كل إنسان حتى ولو كان متوسط الموهبة [3] فألف كتابه العظيم "الفن الأكبر"، ولكي يجعل هذا الكتاب في متناول الجميع؛ فقد تخيل ريمون لول منظومة كاملة من الرسوم، يرمز فيها إلى الله وإلى صفاته وإلى الإنسانية وإلى العالم اجمع بدوائر ومربعات ومثلثات، مؤكدا أن من يجيد استخدام هذه الرموز سوف يستطيع الوصول إلى الحقائق الكلية والمتعلقة بفن الإيمان الكاثوليكي ذات الصالة بالله والإنسان والعالم أجمع[4] ، ولذلك فإننا نجد أن هذا الكتاب فيه جزء مكتوب، وجزء آخر مرسوم، وهو يهدف- فى المقام الأول- إلى تقديم فكرة عن العقيدة المسيحية بوجه عام، مع التعمق فى إثبات ضرورة تجسد المسيح؛ فطهارة السيدة مريم العذراء، وهداية كافة الناس إلى المسيحية عن طريق تلقينهم العلوم

---

[1] نفس المرجع ، ص 42، 43 .

[2] د صموئيل زويمر: حياة ريموند لل ، ص 32 .

[3] Dr. Ignacio Bines, Ramón Lull (Rimundo Kulio), Comentarios acerca de las ideas del filòsofo, Palma de Mallocra, 1950, P.31.

[4] إدوار جونو : الفلسفة الوسيطية، ترجمة د/ علي زيعو، دار الأندلس للطباعة والنش والتوزيع ، ط3، بيروت ، 1982 ، ص 142 .

النظرية والعملية[1]، وإن كان قد ظهر فى هذا الكتاب غلبة واضحة للطابع العملى على الطابع النظرى، شيمته فى ذلك شيمة السمة العامة لحياة واضعه؛ فريمون لول شأنه شأن باقى فلاسفة العصر الوسيط أراد أن يحارب غير المسيحيين، ويقضى على الهرطقة، عاقداً النية على أن يثبت عقائد الإيمان باعتبارات الضرورة، ولأجل تحقيق هذا الغرض وفى سبيل خدمته ألفّ هذا المؤلف: "الفن الأكبر" أو "الفن العام ، قاصداً بذلك فن النقاش ومهارة الجدل، والذى يتحتم- فى تصوره- أن يكون شعبياً وعامياً إلى حد بعيد، وأن يكون سهل التناول حتى يستطيع أن يصل إلى عامة الناس وإلى كافة طبقات المجتمع، وذلك لأجل الدفاع عن العقيدة؛ فالكاثوليكية- فى نظر ريمون لول- هى ديانة كلية مرتكزة إلى حد كبير على منهجاً كلياً فى التفكير[2].

ولكن: ما حقيقة هذا المؤلف المسمى "بالفن الأكبر"، وما هى طبيعته؟

أكد ريمون لول على أن الفن يرتكز بشكل مباشر على الطبيعة الإلهية، أو المسماة بحسب تعبيره "Dignitates-Die "، فهو يعد انعكاساً مباشراً للثالوث الإلهى، أو لعملية التثليث بوجه عام[3]، مؤكداً أن صورة التثليث المتمثلة فى (الإرادة – الذاكرة – العقل) متحققة لا محالة فى الإنسان، فهو بالعقل يعرف، وبالإرادة يحب، وبالذاكرة يتذكر؛ بحيث يكون العقل هو فن المعرفة، والإرادة هى فن الحب، والتذكر هو فن الذاكرة، ولقد ركز ريمون لول بشكل مباشر على هذه الثالوثية والأشكال المتعددة للفن، متأثر فى ذلك - بلا شك - بثالوثية قوى أو وظائف الروح عند القديس أوغسطين * والتى تتمثل فى (الإرادة- الذاكرة – العقل)،[4] مؤكداً أنه – أى الفن – يستطيع ن يعالج كل

---

(1) Saint franshesko: Raymond Lull, dans Dizionario Enciclopedico del Evo, P. 1089.

(2) إميل برهيية: تاريخ الفلسفة ، جـ3 ، ص 215.

(3) Saint franshesko: op.cit., P. 1089.

* ولد أوغسطين في تاغسته "من أعمال نوميديا" والآن "من أعمال الجزائر" عام 354م وتوفى عام 430م، تدعى أمه مونيكا التي أثبتت الكنيسة قداستها. فكانت من أشد الناس تمسكا بالنصرانية توفى والده، فسعى لأجل تحصيل معاشه وحفظ منزلته، وطالع شيئا من التأليف في الفلسفة ، فساقه ذلك إلى البحث عن الحق، سافر إلى رومية ثم دعى إلى ميلان لتعلم البيان، توفيت أمه وابنته فاشتد به الميل إلى الترهبن ، فعاد إلى تاغسته ونكث بها ثلاث سنوات منفردا عن الناس ويروى عنه أنه كان زاهدا قنوعا ، يأمر اتباعه بالبساطة في العيش والملبس والإحسان إلى المساكين وكان مهذبا حسن السيرة . أشهر أعماله . الاعترافات ، مدينة الله ، وذكر عنها أنها ترجمت إلى العديد من اللغات رغبة في تعميم فوائدها. (انظر: المعلم بطرس البستاني : دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن ومطلب) ، المجلد الرابع، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1880 ، ص 762، 673 ، 674).

(4) F. A. Yates: Raymond Lull, an essay in The New Catholic Encyclopedia, Val 8, prepared by an editorial staff the Catholic

المشكلات المتعلقة بقضايا الخلق والعالم الإنجيلى وعالم الفلك، وكذا مشكلات الإنسان والحيوان والنبات، ولعل الغرض الرئيس من هذا الفن عند ريمون لول هو الغرض التبشيرى، أو بالأحرى جعله وسيلة لأجل التبشير بالدين[1]، وذلك عن طريق ربط هذا الفن بالدين، أو بالأحرى بتأسيسه وقيامه على التصورات الدينية العامة سواء فى اليهودية أو المسيحية أو الإسلام[2]، معتقدا ، أنه يمكن استيعاب منهجه القائم على الفكرة الأوغسطينية القائلة بأن الله تعالى موجود فى كل حقيقة، والذى تتضح أوصافه فى المقامات الرفيعة، وهى (الحق، الخير، الجمال، الكمال، السرمدية، السلطة، الحكمة، الإرادة، الفضل، الحقيقة المتجردة)[3]، قائما بدمج هذه المقامات والصفات ورامزا لها بالحروف، وذلك وفقاً لنظام خاص وعلاقات معينة، مبيناً أنها تستطيع من خلال هذا الدمج، وذاك الترتيب أن تطرح أسئلة صحيحة، وتعطى الإجابة الكاملة عليها، كما يؤكد أيضاً أن هذا الدمج، يعد وسيلة مباشرة لأجل تحقيق وإدراك العلوم بكافة أنواعها[4] ، وسوف نعود إلى هذه النقطة بالتفصيل بعد قليل.

ثانياً:<u>اللغة</u>: تعد مسألة نشر اللغة من أهم المسائل التى ركز عليها ريمون لول لأجل السير بخطوات جادة من منهجه التبشيرى، بل أنه يعد من الرواد في إدراك أهمية الدعوة إلى أن معرفة لغة الخصوم وثقافتهم يعد أمرًا ضروريا لأجل إقامة حوار بناء معهم [5] ومن ثم فقد أدرك ريمون لول- بعد أن وضع مؤلفه الشهير: "الفن الأكبر" – أنه لن يستطيع أن يقنع الشعوب بما جاء فى هذا الكتاب إلا بأن يتعلم العديد من اللغات؛ فأقبل بالفعل على دراسة اللغة العربية وسعى فى إتقانها على أكمل وجه، وكرس- لأجل ذلك- تسع سنوات من عمره[6]، ولم يقتصر الأمر على رغبته فى تعلم اللغة العربية فقط ولكنه طالب بإصدار مرسوم بابوى يقضى بغرض تأسيس مدارس لتعليم اللغات الشرقية

Universality of America Washingtion, district of Columbia, hill book company, New York, without date. P. 866,867

(1) Saint franshesko : op.cit , P. 1089.

(2) Ibid ،P. 1089.

(3) Ibid ،P. 1089.

وانظر أيضاً

Jocelyn Nigel Hillgar: the "Ramon lull", an essay in the Encyclopedia of philosophy, P. 108,

(4) Saint franshesko: op. cit., P. 1089

(5) Bibliotecha Sanctorum : Raymonde lulle, Vol. VIII, Città Nuova, 1967.

(6) جورج طرابيشى: معجم الفلاسفة، (مادة رامون لول)، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط2، بيروت ، 1997 ، ص 603 .

كافة، وذلك تمهيداً للبشارة الإنجيلية، وقد تسنى له ذلك بالفعل؛ فدعى إلى تأسيس مدرسة كانت تدعى "ميرامار" لتعليم اللغات الشرقية، وقد كانت هذه المدرسة بمثابة دير للرهبان الفرنسيسكان؛ إذ شيدها ملك مايوركا، والملقب "بيعقوب الثانى"، بناء على طلبه، وكانت مهيأة لاستقبال ثلاثة عشر راهباً يقيمون فيها لدراسة اللغات الشرقية، كما كان من دواعى سروره أيضاً أنه قرر تأسيس مكان لتعليم العبرية والعربية والكلدانية واليونانية فى أهم خمس جامعات أوربية؛ وذلك لأجل انتشار اللغة بكافة أشكالها فى العالم الأوربى بوجه عام[1]، وانخرط فى المكتبات الإسلامية يستخدم مصطلحات المسلمين ليضلهم، ولكنه فشل فى ذلك؛ فدعى إلى شن الحملات المسلحة والحروب الصليبية لأجل التبشير بالمسيحية، آملاً أن يتحقق الغزو الفكرى عقب الغزو العسكرى[2] ولكنه بعد هذه المدة التى قضاها فى المطالبة بتعليم اللغات عامة والعربية خاصة، كان قد اعتكف روحياً ودخل فى بعض الحالات الوجدية، وبينما هو فى تلك الحالة طرأ على مخيلته أن يؤلف كتاباً يحتوى على جميع العقائد المسيحية بعبارات شديدة الوضوح، واضحة المعنى، دقيقة المغزى، حتى يقر غير المسيحيين ببلاغة منطقها، ويتسنى لهم اعتناقها والإيمان بها؛ فألف كتاباً تحت اسماه: "برهان عقائد الإيمان"، كان بمثابة مجادلة مع غير المسيحيين، وطالب فيه القساوسة ورجال الدين بمدح المعتقدات المسيحية، والثناء على الدين المسيحى، داعياً إياهم أن يفحصوا حججه وبراهينه ضد العرب، ومؤكداً ضرورة أن يخبروه بردود أفعالهم ، ثم ألف كتاب آخر أسماه: "العلم الأكبر والعام"، وبين فيه أن مدح العقائد المسيحية هى السبيل المنطقى الوحيد لبيان أخطاء غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، وقد تسنى له بالفعل أن يلقى محاضرات حول هذا الكتاب، مركزاً فيها- بشكل مباشر- على إقناع غير المسيحيين بالدخول فى العقيدة، وقاصداً به إلى جمع كل علوم عصره فى دائرة معارف موسعة، نافراً بل ورافضاً لكل طرق السابقين عليه فى جمع العلوم والمعارف[3].

غير أنه وفى تلك الفترة- تحديداً- لم تكن تلقى الفلسفة قبولاً عاماً، بل اعتبرها الكثيرون أنها وهمية لا يقينية؛ ففكر ريمون لول فى أن يستخدم سلاحاً أخر لأداء هذه المهمة؛ فكان إقباله على المنطق العلمى لأجل خدمة الإنجيل رافعاً شعار: " السعى الجاد إلى انتشار الإنجيل ومحبة المسيح "، ولكنه أدرك أن قوة الإسلام فى ذلك الوقت غالبة؛ فلم يجد بداً إلا بأن يواجه أكبر فلاسفة

---

(1) Jordan Gallego: Raymond Lulle, dans Dictionnaire des Religions, P. 1116.

(2) د/ عبد المنعم الحفنى: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، جـ1، مادة رامون لول، ص 1177 .

(3) صموئيل زويمر: حياة ريموند لل ، ص 51، 52، 53 .

العرب؛ إذ كانت كتابات ابن رشد والغزالى * وابن سينا ** متربعة على عرش العالم الإسلامى وعلى فكر المسلمين؛ فعزم ريمون لول أن يهدم أولاً سلطة هذه الفلسفة وأن يقهر سلطانها، ومن ثم يصل إلى قلب المسلم برسالة الخلاص[1]، وفى سبيل تحقيق ذلك قرر ريمون لول أن يتخذ منهجاً لاهوتياً Theological Method، لأجل إقامة الدليل العقلى على حقيقة دينه والبرهنة على صحة تعاليمه[2]، وشعر بضرورة اتخاذ عملاً جدلياً يكون فريداً من نوعه لأجل إقناع المسلمين بالمسيحية واعتناقها؛ فالمسلمون يرفضون الديانة المسيحية فى رأيه وينكرون وحيها، كما يرفض إتباع ابن رشد هذا الدين ولا يضعونه فى اعتبارهم ، ومن هنا فقد نشأت عداوة كبيرة بين الدين والفلسفة ؛ لأن الفلسفة تعتمد على العقل، بينما يعتمد الدين على الوحى، باعتباره حقيقة ثابتة لا يمكن الشك فيها، ومن ثم فبديهى ألا يكون هناك توافق بين العلمين، ومن هنا كان سعى ريمون لول وتركيزه بشدة على إيجاد نوع من التوافق بين العلمين، منطلقاً من مبادىء عامة يعرفها الجميع ويوافقون عليها؛ فأخذ على عاتقه أن يضع مجموعة من المبادئ العامة والمشتركة بين جميع العلوم، تكون معروفة وواضحة للجميع لا يتحقق بدونها فلسفة، ولا يكون بغيرها لاهوت، وهذه المبادئ هى: "الخير- العظمة- الأبدية- السرمدية- القدرة- الحكمة- الإرادة- الفضل- المجد"، ثم "الفرق- التطابق- التضاد- البداية- الوسط- النهاية- الأكبر- المساوى- الأصغر"، مبيناً أن جميع الكائنات إما متعلقة، بهذه المبادئ أو أنها تتطور وفقاً لكيفيتها وطبيعتها [3]، مضيفاً إلى ذلك مجموعة من القواعد التى تمكن من دمج كل هذه المبادئ دمجاً سليماً وميسراً، وذلك على شكل لوحات،

---

* ولد حجة الإسلام بطوس، وهي إحدى مدن خرسان عام 450هـ وكان يعشق التصوف وقد بلغ به منزلة كبيرة، خاص البلاد شرقا وعربا ثم عاد إلى خرسان واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء والصوفية وتوفى عام 505هـ بعد أن ملأ الدنيا علما وفضلا وخيرا (انظر: د محمد يوسف موسى : فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية ، الناشر : مؤسسة الخانجي ، ط 3، القاهرة، 1963، ص 125 ، 126 ، 127 ، 129 .

** (980م – 1037م) ، أشهر أطباء العرب فارسي الأصل نشأ في بلاد ما وراء النهر، واشتهر بذكاءه النادر ولباقته الاجتماعية، ويعد من أبرز فلاسفة المشرق العربي وأكثرهم شهرة في أوربا (انظر : د. محمد علي أبو ريان تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1970م ، ص 277، 278)

[1] نفس المرجع، ص 54، 55

[2] J. A. L. M: Raymond Lully, an essay in Collier's Encyclopedia, Vol12, Editor in cbief William T. Couch, P. F. Collier & Son Corporation New York, 1957, P. 593

[3] Jorge J. E. Gracia and Timothy B. Noone: A Companion to Philosophy in the Middle Ages, Blackwell Publishing Ltd, first Published, USA, 2002, p.554.

مؤكداً أن جميع طرق الدمج يمكن أن تنطبق بدقة- على جميع حقائق الطبيعة وأسرارها المتاح للإنسان إدراكها فى هذه الحياة، موقناً بأن تلك القواعد التى تمكننا من دمج هذه المبادئ هى عبارة عن سلسلة من الأسئلة العامة التى يمكن تطبيقها على جميع الأشياء مثل: من أى شىء؟ ، لماذا؟ كم ؟ أين؟ متى؟ أى؟ ومؤكدا أنه لأجل تطبيق هذه القواعد على تلك المبادئ والسعى إلى دمجها؛ فإن هذا يتطلب مجموعة من المعلومات المنطقية (العملية والنظرية)، تعد فى نظره- أمورا بديهية Axioms ومصادرات منطقيةPostulates ؛ بحيث يمكن القول بأن فن ريمون لول قائم - فى المقام الأول- على وجود بعض المبادئ المسبقة، أو بالأحرى بعض المقدمات البديهية التى يشتق منها بالضرورة نتائج منطقية.[1]

العنصر الثالث: رحلة ريمون لول التبشيرية:

كانت حياة ريمون لول بمثابة معركة مستمرة مع الإسلام ليس فقط فى أسبانيا، وفى شمال أفريقيا، ولكن أيضاً فى باريس مع الرشديين[2]، وكانت الفكرة الراسخة فى ذهنه هو تحقيق أقصى مجهود ثقافى يهدف إلى إقناع المسلمين بحقيقة الوحى المؤدى إلى المسيح، وظلت هذه فكرة راسخة فى ذهنه؛ فهو تلميذ القديس أوغسطين، والقديس بونافنتورا * والقديس توما الأكوينى ** وهوج دى سان فيكتور*** ومن هنا كان يؤمن إيماناً شديدًا بالطابع الواحدى للحكمة المسيحية، مؤكداً أنه لا فرق بين العقل والنقل وأنه لا ثنائية أيضاً بين الدين والفلسفة، رغم ما يختص به كل منهما من مميزات، وبالتالى فكان يولى أهمية بالغة لفكرة الامتثال والنموذجية؛ فالصفات الإلهية- فى رأيه تظهر فى المخلوقات وتساعدنا على الانطلاق منها نحو الخالق العظيم، وهى نظره- بمثابة درجات"، يمكن لأى فرد فينا أن يصعدها، مؤكداً وجود مجموعة من المبادئ الضرورية والمقدمات البديهية التى يتفق عليها الجميع، على اختلاف دياناتهم وأطيافهم، ولقد كان العرب يمثلون- فى نظر لول- خطراً اجتماعياً ودينياً، كما

---

(1) E-Gilson: la Filosofia nel MedioEvo, Traduzione DiD. Bucci, Firenze 1932., P. 230, See also: Jocelyn Nigel Hillgar: the "Ramon lull", an essay in the Encyclopedia of philosophy, p.108.

(2) Ibid, P. 107 .

* ولد عام 1221م في جنوب إيطاليا اسمه الحقيقي يوحنا، التحق برهبنة الفرنسيسكان، وتوفى عام 1274م (انظر: فرانسوا أوبرال : معجم الفلاسفة الميسر ، مادة القديس بونافنتورا، ترجمة جورج سعد، اتيين جلسون، جاك مارتيان، دار مارابوت، فرنسا، 1990م ، ص 19.

** قديس مسيحي ولد عام 1225 ويعد هو المؤسس الحقيقي المذهب الدومنيكاني ويعرف باسم المعلم الإنجيلي، سخر نفسه لخدمة المعتقدات الكنسية، وخصوصا الأرثوذكسية وتأثر بالفلسفة الأرسطية وبخاصة في تفسير شروحها على فلاسفة العرب وتوفى عام 1274.
(See: William S. Sahakian: History of Philosophy, Rivision of Hasper Publishers, New York, 1968, p.104).

*** ولد في ألمانيا حوالي عام 1069م ، وهو ينتمي إلى أسرة نبيلة رحل إلى باريس، ثم التحق برهبنة القديس فيكتور، وتوفى حوالي عام 1141م .
(See: Frederick Copleston: A History of medieval Philosophy, Methuen and co LTD, first Published, London, 1977.p94.)

كانوا يمثلون خطراً فكرياً أيضاً، وذلك بسبب ازدهار تيار ابن رشد والفلسفة الرشدية في العالم الأوربى، وكان هذا الأمر من أهم الأمور التى شكلت أكبر همومه وأقصى مخاوفه، ولكنه كان يعتبر نفسه مستنيراً؛ فراح يجوب البلاد- المسيحية والإسلامية- شرقاً وغرباً، وأخذ يقابل الملوك والباباوات، وكل من بوسعهم أن يساعدوه لهداية غير المؤمنين، فطالب بشن حملة صليبية كبرى، وتنظيم حملة عامة لهداية المسلمين، كما طالب بإصدار مرسوم بابوى يقضى بغرض تأسيس مدارس لتعليم اللغات الشرقية تمهيداً للبشارة الإنجيلية[1].

وبدأت رحلات ريمون لول التبشيرية، وذلك كمرسلاً حقيقياً لنشر الإيمان بين المسلمين، وكان آنذاك فى السادسة والخمسين من عمره، آخذاً على نفسه مشاق السفر براً وبحراً، جسوراً فى تبليغ دعوته والسير فى حملته، وكان مستعداً أن يخاطر بكل ما يملك، آملاً أن ينجح فى عمله بواسطة إقناعهم بالمحبة، ساعياً إلى عقد مؤتمر- على حد تعبيره- مع عقلائهم، لأجل الإعلان لهم عن الإبن المتجسد والأقانيم الثلاثة، موضحاً لهم كيف أن الثالوث الأقدس يعد جوهراً واحداً؛ فعزم أن يعقد مجلساً للمناظرة بين الأديان، ولأجل أن يقابل بين التوحيد الإسلامى مع إعلان الأب والإبن والروح القدس فى الإنجيل؛ فسافر من باريس إلى تونس، وأخذ يشعر بمشاعر الجندى الذى يحارب بسيف الروح لأجل ملكوت المسيح، وعزم على أن تكون أولى خطواته هى الدعوة لعقد مؤتمر لنشر دعوته وتبليغ رسالته، مؤكدًا أنه على أتم الاستعداد لأن يقارن بين براهين المسيحية والإسلام، وصرح بأنه لو أقنعوه بخطأه سوف يعتنق الإسلام جهراً؛ فرحب علماء الإسلام بدعوته، وجاء إلى مؤتمره أفواجاً كبيرة، وأعداداً هائلة لكى يقنعوه بمعجزة القرآن الكريم، وأن يبرهنوا له على التوحيد، وبعد مباحثات طويلة، ازداد المسلمون اقتناعاً بدينهم وازدياداً فى تعصبهم؛ فعاد من تونس وأعد خطه تبشيرية جهارية ثانية، ثم سافر إلى نابلس وظل بها عدة سنوات يعلم ويلقن المحاضرات على طريقته الخاصة، ثم انتقل إلى روما مرة ثانية، ثم سافر سفريات تبشيرية عديدة منذ عام 1301 وحتى عام 1309م، وكان آنذاك فى السادسة والستون من عمره، مع العلم أن السفر- كان فى تلك الفترة- خطراً بحراً وشاقاً براً، ولكنه ورغم كل هذه العثرات عزم أن يسافر من مكان إلى مكان هادفاً توصيل البشرى لليهود والهراطقة من المسيحيين وللعرب من المسلمين وغير المسلمين؛ فانتقل إلى قبرص وكان بها آنذاك عدد كبير من اليهود والمسلمين والمسيحيين، ولكنه لم يمكث بها كثيراً، ثم انتقل إلى بلاد الشام يدعو الطوائف الشرقية المختلفة فيها إلى الإيمان بالكنيسة وبتعاليم المسيح، ثم عاد ثانية إلى قبرص متنقلاً بين إيطاليا وفرنسا ما بين عامى 1302م ، 1305م، سائحاً متجولاً يخطب فى الجامعات، ويؤلف الكتابات، مركزاً فى دعوته على اليهود المتفرقين بين أرجاء العالم شرقاً وغرباً، داعياً إياهم لاعتناق الدين المسيحى، مؤلفاً لهم كتباً عديدة، مؤكداً لهم فيها حق الإنجيل، ومبيناً لهم أن المسيا المنتظر ليس هو إلا يسوع الناصرى، ساعياً لأجل إقناعهم- أى اليهود- بخطئهم؛ فكان بمثابة رسول سلام ومحبة لهم فى الوقت الذى لم ينتظر فيه اليهود من المسيحيين إلا الجور والظلم، ثم انتقل إلى بوجيا (بشمال أفريقيا) عام 1307م؛

---

(1) Jordan Gallego: Raymond Lulle, dans Dictionnaire des Religions, P.1164.

فبشر بها فى شيخوخته، وهناك كانت مأساة حياته؛ فما إن وطأ بأقدامه أرض بوجيا حتى ذهب إلى السوق العام، ووقف بجسارة نادرة وشجاعة متناهية، وصرح- باللغة العربية الفصحى- بأن المسيحية هى الديانة الوحيدة الحقيقية، ولكنه لم يلق إلا هياجاً شديداً وتأثراً كبيراً من قبل سامعيه، حتى كادوا أن يقتلوه؛ فتبسم ضاحكاً وقال: " ليس للموت شوكة على عبد المسيح المخلص الذى يتعب لكى يربح نفوساً الحق"، وعلى أثر ذلك اضطهد ريمون لول اضطهاداً عنيفاً، وألقى فى سجن مظلم مكث به ستة أشهر، ثم عرض المسلمون عليه - بعد ذلك - أن يقدموا له كل ألوان المنح والمزايا فى مقابل اعتناقه للدين الإسلامى فرفض قائلاً: " أنتم تقدمون إلىّ الزوجات، وكل ألوان الملذات على شرط قبولى دين الإسلام؛ فوا أسفاه أنكم تقدمون مكافأة زهيدة؛ إذ أن كل ما فى العالم لا يمكنه شراء المجد الأبدى، وعرض عليهم أن يكتب كل فريق منهم دفاعاً عن إيمانه، ولكنه بينما كان مشغولاً بإتمام ذلك صدر الأمر من حاكم بوجيا بنفيه عدة أشهر عاد بعدها إلى باريس، وكان آنذاك فى التاسعة والسبعين من عمره، وقد أثرت- بلا أدنى شك- هذه الأحداث الجسيمة والأسفار المتعددة على هيكله القوى، وروحه الجسورة [1].

"ولكنه تغلب عليه اليأس فى نجاح دعوته، وانتابه الحزن على فشل حملته؛ فأنشد يقول "إننى شيخ فقير محتقر، لا أحد يساعدنى، باشرت عملاً يفوق طاقتى، طفت فى معظم بلاد العالم، وقدمت الكثير بقدوتى الصالحة، ومع ذلك لا يعرفنى ولا يحبنى إلا القليلون"[2].

ولقد رغب أصدقاؤه فى أن يقضى أيامه الأخيرة فى مهنة التعليم الهادئة بين أصدقاؤه المقربين، إلا أن رغبته لم تكن كذلك؛ فكان يرغب فى أن يموت مبشراً، لا معلماً، آخذاً من مقولة " بأن الذى يعيش بالحياة الحقيقية لن يموت " نبراساً له، كما ذكر عبارات أخرى كانت توحى بكم رغبته ومدى ولعه وكم اشتياقه لأكليل الاستشهاد، وارتداء التاج السماوى والثوب الأرجوانى، مؤكداً أن الاستشهاد يعد تكفيراً لذنوب الماضى، وينوب عن المعمودية، ويدخل صاحبه- تواً- إلى النعيم بدون أن يمر على المطهر[3].

وأود أن أشير إلى أنه يبدو- للوهلة الأولى- أن ريمون لول يعارض الديانات السماوية أعنى (اليهودية والإسلام)، فى حين أن هذا يعد أمراً غير حقيقياً (صحيحاً)؛ إذ نجد ريمون لول قد سعى جاهداً لأجل إيجاد نوع من الاتفاق، أو القواسم المشتركة- إن صح التعبير- ما بين اليهودية والإسلام وما بين المسيحية، محاولاً حل أوجه الخلاف بينهم، كما كان له مباحثات ومناقشات واسعة النطاق أظهرت مدى اضطلاعه على المصادر العربية والإسلامية، وتبين مدى فهمه للإسلام ولتعاليم الدين الإسلامى تحديداً؛ فكان يثنى على المعتقدات الإسلامية، وخاصة فيما يتعلق بقضية التوحيد، أى الاعتراف بوحدانيه الله تعالى، والتى كانت – فى رأيه- بمثابة القاعدة التى يمكن أن تجمع عليه الديانات السماوية الثلاث، كما

---

[1] صموئيل زويمر: حياة ريموند لل ، ص 76، 77.

[2] Saint franshesko: Raymond Lull, dans Dizionario Enciclopedico del Evo, p.1188.

[3] صموئيل زويمر: المرجع السابق، ص 78.

يبدو هذا أيضاً فى اهتمامه اهتماماً شديداً بقضية التصوف الذى كان يسعى- فى نظره- إلى إعادة جمع- إن جاز التعبير- الله تعالى Recollection of God فى ذات واحدة ووحيدة، واصفاً إياه (أعنى التصوف) بأنه يمثل خلوة روحانية وإيجابية لأجل الوصول إلى الله والإتحاد به تعالى *، كما تبنى فى أثناء حياته أيضاً الرأى القائل بأن المسلمين متقاربين من المسيحيين، وأن الإثنان أبعد ما يكونا عن الإلحاد والملحدين، وذلك لأن الإسلام يؤمن بالإيمان العذرى للسيدة مريم Virgin Maria ، كما وجد أيضاً أن مؤلفه " المحب والمحبوب "، والذى جمع فيه حوالى 365 مسألة أو قول مأثور، كانت فى معظمها مطابقة، أو بالأحرى متوافقة مع ما جاء فى مصطلحات التصوف الإسلامى بوجه عام، وأن البعض منها- أى من هذه المسائل- كان قد اقتبس بشكل مباشر من الإمام الغزالى، كما تبدو استفادته المباشرة أيضاً من بعض صوفية العرب أمثال ابن عربى **، ورغم ذلك؛ فإننا نجد أن ريمون لول كان مدقق النظر فى التعاليم الإسلامية المختلفة مع التقاليد الوسيطية كالصورة الحسية لبراديس (الجنة)، وكذا فى قضية تعدد الزوجات، ولكنه ظل محتفظاً بموقفه هذا ولم يبده لهم.[1]

* هذه العبارة تعبر عن نظرية وحدة الوجود، وهي نظرية فلسفية أخذ بها متصوفة الإسلام من الفلاسفة، أما النظرية التي قال بها متصوفة الإسلام من أهل السنة فهي نظرية وحدة الشهود، وهي التي تقول بأنه لا يشاهد في الحقيقة .

** هو محيي الدين ابن عربي (1165 – 1240م) له مكانة متميزة في الحضارة الإسلامية، ويعد هو الشارح الأكبر للتصوف الإسلامي (انظر: عثمان يحيى : مؤلفات ابن عربي "تاريخها وتصنيفها، تقديم وتعليق، د . أحمد الطيب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2001م ص 13).

[1] Axnemarie Schimmel: Raymon lull, an essay in The Encyclopedia of Religion, editor in chief by mircea Eliadem vol 9, Macmillan library Refrnard" New York, without Date. P. 52

الخاتمة

يعد ريمون لول هو أول فيلسوف مسيحى فى العصر الوسيط استطاع أن يستخدم أكثر من لغة فى أعماله الأساسية، وذلك على الرغم من أنه لم يتلقى تعليماً جامعياً، ولكنه كان يتمتع بمزايا كثيرة أكثر مما كان يتمتع به عظماء المدرسيين، فقد جمع بين الثقافات الشرقية، وألمّ – أيضاً- بالمسيحية الغربية والإسلام، كما كان على وعى تام بالمسيحية اليونانية المبكرة (أعنى آباء اليونان المسيحيين الأوائل)، ولقد تأثر ريمون لول أيضاً بالحقائق الأفلوطينية- لا محالة- كما تأثر بجون سكوت أوريجينيا، والقديس أنسلم والفيكتوريين وكذا بالقديس بونافنتورا وروجربيكون بوجه عام.

هذا ويمكن إجمال أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذه الدراسة فى النقاط التالية:

1- يتمتع ريمون لول بشخصية تعبق بعبق الدين، وتناصر كل نزعة تبشيرية، وتدافع عن الدين المسيحى عامة، والكاثوليكية خاصة، كما يمتاز فكره، أو بالأحرى ينفرد ويختص بأسلوب الاستدلال، وبالحرارة الصوفية والصيغة الروائية، كما يعد هو صاحب منهج دقيق فى النشر اللاهوتى الرمزى، ويتلخص منهجه فى الرجوع إلى مبادئ أولية قابلة لأن تفرض نفسها على كل عقل مسيحي، ثم القيام بعدئذ باستنباط جميع الحقائق من خلال إعادة تفسير، أو تركيب لتلك المبادئ مرة ثانية.

2- ينتمى ريمون لول إلى طائفة الفلاسفة الواقعيين – إن صح التعبير- لا إلى قائمة الفلاسفة المثاليين، وبيان ذلك أنه إذا كان هناك مفكر واقعى يطابق سلوكه- ما يقول به- أى يطابق سلوكه الفعلى كلامه النظرى، ومفكراً مثالياً تخالف أقواله أفعاله؛ فإن ريمون لول ينتمى إلى طائفة المفكرين الواقعيين؛ إذ من المعروف أنه كان يمتاز بشخصية المتوحد المتعبد المنصرف إلى تأمل الحكمة وحب اللاهوت الذى يقود إلى الخير الأسمى وهو الله تعالى؛ ولذا فقد وصف بأنه " فيلسوف العمل والتطبيق"؛ إذ كانت تترجم كل ألوان النسك عنده إلى ممارسات فعلية، وفى السعى الجاد إلى تحقيق كل أوجه الخير، لا لذاته فقط، ولكن للآخرين إلتزاماً بمبدأ المحبة المسيحية.

3- احتل ريمون لول مكانة بارزة فى مجال التبشير، وفى تاريخه، بل أنه يعد من الرواد فى هذا المجال، متخذاً من المنهج اللاهوتى- بمقوماته ودعائمه- وسيلة لتحقيق ذلك، مؤكداً ضرورة بيان أهمية الدعوة إلى معرفة لغة الخصوم والإلمام بثقافتهم وعلومهم، تمهيداً لمباشرة حوار بناء معهم، موقناً بأن هداية غير المؤمنين بالدين المسيحى لا يتم إلا عن طريق استيعاب

لغتهم وفهم علومهم، وإن كان هذا الأمر لم يكن حكراً على ريمون لول وحده؛ إذ سبقه إلى ذلك القديس توما الأكوينى، وذلك فى مؤلفه: " الرد على الخوارج "، أو " الخلاصة ضد الخوارج "،

4- على الرغم من سعى ريمون لول الجاد لأجل التوفيق بين الدين والفلسفة، أو بالأحرى الربط بين العقل والنص الدينى وذلك من منطلق إيمانه بأن الحوار والجدل- انطلاقاً من الإيمان وحده وبناء على الحجة على الدينية وحدها – لا يكفيان للإقناع، فقد سعى سعياً جاداً للجمع بين الفلسفة واللاهوت معاً، على اعتبار أنهما علماً واحداً شاملاً، أو بالأحرى رياضة شاملة ذات طابع جدلى، ولكن وعلى الرغم مما بذله من جهود مضنية وما تعرض له من مخاطر لا متناهية، إلا أنه لم ينجح فى تحقيق هدفه، ونشر دعوته، وإرساء قواعد حملته، ويقينى أن المنهج عنده وإن كان صحيح، إلا أنه ينطلق من فكره- بلا أدنى شك- غير صحيحة، أو بالأحرى متناقضة؛ فالإسلام يعد امتداداً مباشراً للمسيحية- إن صح التعبير- أو بالأحرى الإنجيل جاء مبشراً برسول الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يتحقق فيه- بلا أدنى شك- كمال الوحى، والعجيب أن ريمون لول، يعلن بنص عباراته أن الإسلام يؤمن بالديانات السماوية السابقة عليه، وبرسلهم وبكتبهم المقدسة، ومع ذلك فقد اتخذ موقفا مغايرا تاما لكل ذلك، ومن ثم فما الداعى- إذن- لهذه المهاترات؟! وما المبرر العقلى لهذه الحملات والمغالطات؟؟!! طالما أن الأساس غير صحيح، والمنطلق غير مقبول دينياً وعقلياً!!!!؛ فالمسيحية تمهيد ربانى للإسلام، وتسلسل منظم له، والإنجيل يمهد، أو بالأحرى يبشر بمعلم البشرية صلى الله عليه وسلم؛ فلماذا الجدل- إذن- ؟! وعلى أى شىء يكون الخلاف أو النزاع؟!

والدليل على صحة اعتقادى هذا أن جهود ريمون لول النظرية كانت كبيرة جداً، فى حين أنها لم تجدى بأية نتائج عملية أو ملموسة؛ فنجد أن هذا الذى سعى جاهداً لبسط سلطان الكاثوليكية على كافة أنحاء الأرض بوجه عام، لم يتحقق له ما كان يصبو إليه، بل بالعكس؛ إذ بقدوم القرن الرابع عشر، انهارت سلطة الكنيسة الكاثوليكية، وضاعت هيبة البابا‌وات، وانهدم النظام الفكرى للعالم المسيحى بوجه عام، وظهرت حركة عارمة بقدوم القرن الخامس عشر، وهى حركة الإصلاح الدينى، رافضه لكل سلطان للكنيسة، وهادمة لكل سلطة لرجال الدين.

قائمة المراجع

أ- العربية :

1. أبو ريان (د. /محمد علي) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1970م .
2. برهيية (إميل): تاريخ الفلسفة ، جـ3 ، ترجمة جورج طرابشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت 1988.
3. بونافنتورا (القديس): السيرة المطولة لحياة القديس فرانسيس الأسيزي (فارس الكمال الإنجيلي)، ترجمها وأعدها عن الإيطالية نخبة من الآباء والأساتذة الفرنسيسكان حراسة الأراضي المقدسة، ط1،القدس،1989.
4. جونو (إدوار) : الفلسفة الوسيطية، ترجمة د0/ علي زيعو، دار الأندلس للطباعة والنش والتوزيع ، ط3، بيروت ، 1982.
5. زويمر (د صموئيل): حياة ريموند لل ، ترجمة خليل رزق، القاهرة، 1914 .
6. العراقي (د0/عاطف) : النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، دار المعارف ، دار المعارف، ط4 ، القاهرة ، 1984.
7. كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ.
8. المسكين (الأب متى): النعمة في العقيدة والحياة النسكية، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط2، القاهرة، 2002.
9. المسكين (الأب متى): مع المسيح، "الكتاب الأول" مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط 4، القاهرة ، 2006م ، ص 70)
10. موسى (د0/ محمد يوسف) : فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية ، الناشر : مؤسسة الخانجي ، ط 3، القاهرة، 1963.
11. يحيى (د0/عثمان) : مؤلفات ابن عربي "تاريخها وتصنيفها، تقديم وتعليق، د . أحمد الطيب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2001.

ب - الأجنبية :

1. Bines, (Dr. lgnacio) Ramón Lull (Rimundo Kulio), Comentarios acerca de las ideas del filòsofo, Palma de Mallocra, 1950.
2. Copleston (Frederick): A History of medieval Philosophy, Methuen and co LTD, first Published, London, 1977.
3. E. Gracia (Jorge J). and Timothy B. Noone: A Companion to Philosophy in the Middle Ages, Blackwell Publishing Ltd, first Published, USA, 2002.
4. Gilson (Etinne): la Filosofia nel MedioEvo, Traduzione DiD. Bucci, Firenze 1932.
5. S. Sahakian (William): History of Philosophy, Rivision of Hasper Publishers, New York, 1968.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم ودوائر المعارف :

أ-العربية

1. الحفني (د/عبد المنعم): موسوعة الفلسفة والفلاسفة جـ2، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، 1997 .
2. البستاني (المعلم بطرس): دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن ومطلب) ، المجلد الرابع، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1880.
3. أوبرال (فرانسوا): معجم الفلاسفة الميسر ، ترجمة جورج سعد، اتيين جلسون، جاك مارتيان، دار مارابوت، فرنسا، 1990م.
4. طرابيشى (جورج): معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط2، بيروت ، 1997.

ب -الأجنبية

1. Bibliotecha Sanctorum : Raymonde lulle, Vol. VIII, Città Nuova, 1967.
2. Collier's Encyclopedia, Vol12, Editor in cbief William T. Couch, P. F. Collier & Son Corporation New York, 1957.

3. Dictionnaire des Religions, Directeur de la publication, Paul Poupard Universitaire de France, 1993.
4. Dizionario Enciclopedico del Evo, Direzione di André Vauchez, Edizione ltaliana di Claudio Leonardi, Vol.11, Città Nuova,1998.
5. Dizionario Enciclopedico di spiritualità/2, a cura di Ermanno Ancilli e del Pontificio Istituto di Spiritualit à del Teressianum, Città Nouova, 1995.
6. Enciclopedia Cattolica, Vol.7, Firenze, Ente per L'Enciclopedia Cattolica E Per IL Libro Cattolico città Del Vaticano 1951.
7. The Encyclopedia of philosophy by, Vol 5 Editor chief by Paul Edwards, "Vol. 1, 2", Macmillan Publishing Co., Inc the free Press, New York, 1972.
8. The Encyclopedia of Religion, editor in chief by mircea Eliadem vol 9, Macmillan library Refrnard" New York, without Date.
9. The New Catholic Encyclopedia, Val 8, prepared by an editorial staff the Catholic Universality of America Washingtion, district of Columbia, hill book company, New York, without date.